الشعر اللاتيني المعاصر ينتصر لحضاراته ويثور على لغته الأوروبية وثقافة الغزاة

عشرون شاعرا من أميركا اللاتينية يقودون شعوبهم إلى «الرؤية في ليلة معتمة»

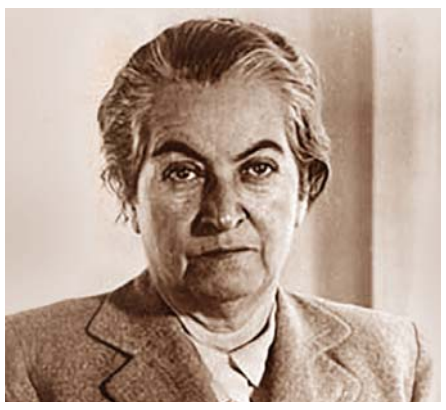

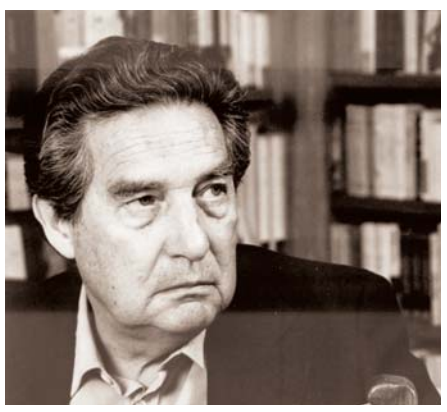

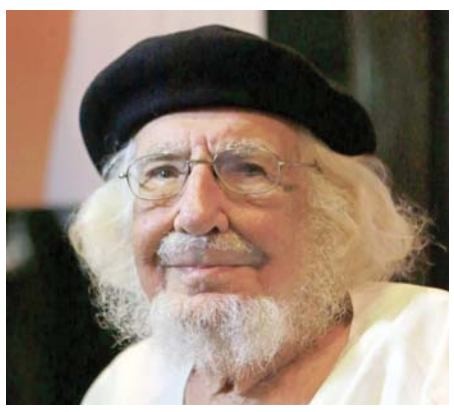

دي بورجوس وميسترال ونيرودا وباث ولويناث وكاردينال أصوات أميركا اللاتينية التي أسمعت أصقاع العالم

نجح شعراء أميركا اللاتينية في اختراق فضاءات شعرية تتجاوز جغرافيا المركز الشعري الأوروبي، وذلك رغم أن أغلبهم يكتبون بلغات أوروبية كالإسبانية والبرتغالية، ولكنهم تمكنوا من الانعتاق من الحضارات الغازية بثقافاتها ولغاتها، ليخطوا لهم ثقافة خاصة وطابعا شعريا فريدا متعددا ومجددا بلغ تأثيره مختلف أصقاع العالم وحتى أوروبا نفسها، وهو ما سنراه في مختارات شعرية جديدة لشعراء لاتينيين.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

تضيء المختارات الشعرية التي ترجمها وقدم لها الشاعر والمترجم طلعت شاهين على عدد من شعراء أميركا اللاتينية المعاصرين كنزا جماليا وفنيا وثقافيا، يكشف تألق الرؤى والأفكار وتعددها وثراءها، وانفتاح حيوات الشعراء على فضاءات الحرية، حرية الروح والجسد، حرية الوجود داخل العالم.

ورغم خصوصية نصوص كل شاعر وشاعرة وتفرد تشكيلاتها اللغوية وعمق دلالاتها، إلا أننا نستشعر ذلك الثراء الذي يحيط بعوالم هؤلاء الشعراء، وفرادة التخييل وارتباطه الإنساني بمحيطه وما يعتمل داخله من رقة وصدق في المشاعر والأحاسيس. وهو ما يؤكد أن الشعر في أميركا اللاتينية يواصل تأكيد خصوبته المفعمة بالحياة وتطوره وقدرته على أن يكون كاشفا لارتباطاته بتجليات الذات وما يعتركها من مشكلات وهموم وطموحات وأحلام داخلية وخارجية.

أدب مختلف عن لغته

المختارات التي عنونها شاهين بـ"الرؤية في ليلة معتمة.. مختارات من الشعر المعاصر في أميركا اللاتينية" ضمت نصوصا لما يقرب من 20 شاعرا وشاعرة من بينهم الحاصلة على جائزة نوبل للآداب عام 1947 غابرييلا ميسترال من تشيلي ومواطنها الحاصل على نوبل عام 1971 بابلو نيرودا، وخوانا دي إيباربورو من الأوروغواي، ودولثي ماريا لويناث من كوبا، وكذلك الحاصل على نوبل 1990 المكسيكي أوكتافيو باث ومواطنه روساريو كاستيانوس، وخوليا دي بورغوس من بورتو ريكو، وخوان ليسكانو من فنزويلا، ويولاندا بيدريغال من بوليفيا، وخافيير سولوغورن من البيرو، وإرنستو كاردينال من نيكاراغوا، وكلاريبيل أليغريا من السلفادور، وهيربرتو باديّا من كوبا، والبنمي بيرتاليثيا بيرالتا، وجيوكوندو بيلي من نيكاراغوا ومواطنه روساريو موريو، وغيرهم.

قدم شاهين للمختارات بقراءة في الشعر المعاصر في أميركا اللاتينية، لافتا في البداية إلى أن الأدب المكتوب باللغة الإسبانية القشتالية (Castellano) في أميركا اللاتينية مختلف تماما عن الأدب المكتوب في إسبانيا رغم وحدة اللغة المكتوب بها، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى اختلاف طريقة تناول الواقع وروح الكتابة التي يشعر بها الكاتب الأميركي اللاتيني الذي يعيش حضارة مختلفة، نتجت عن تمازج الحضارات القديمة مثل المايا والأزتيكا والكيتشوا، وغيرها من الحضارات التي كانت قائمة قبل غزو كولومبوس لتلك الأراضي عام 1492 وما تبعه من غزو الحضارة الأوروبية لتلك البلدان التي انتقلت إلى العالم الجديد مع الفتح الإسباني لها قبل خمسة قرون.

وعبر الكاتب الإسباني ميجيل دي أونامونو عن هذا الاختلاف في رسائل تبادلها مع الكاتب والشاعر النيكاراغوي روبين داريو، صاحب الفضل الأول في تحرر أدب أميركا اللاتينية من التأثير الكاسح للتيارات الأوروبية، وأول من وضع أسس الأدب الحديث أو ما يسميه النقاد باسم "المودرنيزمو" الذي كان أكثر تأثيرا على الكتاب الإسبان من تأثير التيارات الأوروبية الأخرى التي كانت سائدة في ذلك الوقت.

وتابع شاهين أن أونامونو اعترف بأن الكتابة في أميركا اللاتينية تبدو كما لو كانت مجرد لعب بالألفاظ، وهو ما يؤكده واقع الكتابة التي يجب أن نقبلها على هذا النحو دون اعتراض، مع وجود خطورة في ألا نكون على قدر الفهم المطلوب، وذلك لأن تلك الكتابة تأتينا من العالم الجديد في وقت كانت تعيش فيه إسبانيا وجيل 1898 حالة من التشوش نظرا إلى التوجه الفردي والشعوبي الذي يحكم تاريخها وثقافتها، وهو ما يتطلب منا العودة إلى الجذور الروحية للتراث التي تكاد تفلت من بين أصابعنا بسبب تراكم الانحطاط الذي حل بنا طوال عصور عديدة.

وقد كتب أونامونو قائلا "أنا أرى في حضرتك كاتبا يريد أن يقول باللغة الإسبانية ما لا يستطيع أن يقوله المتحدثون بها ولا فكروا في قوله أبدا، وما كان يمكن أن يعتقد أحد في ذلك قبل اليوم".

ويذكر خورخي رودريغيز بادرون أن اللهجة التي يتحدث بها الكاتب الإسباني إلى زميله النيكاراغوي روبين داريو فيها من إحساس الأبوة أكثر من الإحساس بالدهشة التي تدل دلالة طبيعية على عدم الفهم لما توصلت إليه الكتابة الأدبية في أميركا اللاتينية.

وأضاف "وصل الغزاة الإسبان إلى العالم الجديد حاملين معهم ثقافتهم المتطورة عبر عناصر عصر النهضة التي كانت تحتويها الثقافة الأوروبية في ذلك الوقت، ولكن الإسبان لم يتوصلوا إلى لغة مشتركة للحوار الذي لا مفر منه مع أولئك الذين يقيمون في العالم الجديد، ولا حتى مجرد فهم واقع تلك الأرض الجديدة، وبدا واضحا أن إسبانيا كانت تهدف إلى زرع ثقافتها في ذلك العالم بكل الوسائل بغض النظر عن الثقافات القائمة هناك، وبعضها كان قد وصل إلى درجة عالية من التقدم. لذلك لم يكن هناك مفر من نشأة ثقافة جديدة لم يسبق لها مثيل، تنتج عن المزج بين ما هو قائم في أميركا اللاتينية قبل الغزو وما هو قادم مع الغزاة الإسبان".

التجديد الشعري

أكد شاهين أن الثقافة التي تشكلت بعد الغزو الإسباني في أميركا اللاتينية شكلت هوية شعوب جديدة نتجت في معظمها عن التمازج بين الأصيل في تلك البلاد والعناصر الوافدة، وكما يرى الكثير من الباحثين فإن الحضارات التي بدت متباعدة جدا في أصولها وعناصرها تمكنت من التقارب في ظروف خاصة ونادرة، وخلقت شكلها الجديد والخاص، وإن كان الظاهر يبدو أن الشعوب الأصلية كانت لثقافتها الغلبة في النهاية، لأن الثقافة الغازية لم تتمكن من فرض شروطها رغم تمتعها بالقوة التي مكنتها من الفتح.

وأضاف أن الشعوب الأصلية في تلك البلاد، والتي يطلقون على أفرادها اسم "الهنود الحمر" تمييزا لهم عن الشعوب التي تسكن الهند الآسيوية، استقبلت الثقافة القادمة من أوروبا كبذرة لنبت جديد، ونمت تلك النبتة الجديدة كما لو كانت تطورا جديدا في حضارة تلك البلاد، التي سرعان ما تفردت بثقافة جديدة لها تطورها الخاص بعيدا عن الثقافة الأوروبية التي وقفت عند حد التلقيح.

وأوضح أن الشعر كان من أوائل الأنواع الأدبية التي أنتجتها تلك البلاد، ولكن البدايات كانت مجرد تقليد للشعر القادم مع المستعمر الإسباني تماما كما كان المسرح، بل بدأ بعضها على أيدي أحفاد الإسبان الغزاة، ومع مرور الوقت تطور الأمر وبدأت الأجيال الجديدة تعرف طريقها إلى إبداع أميركي لاتيني خالص، على الرغم من وحدة اللغة مع كتاب إسبانيا.

> الأدب المكتوب باللغة الإسبانية القشتالية في أميركا اللاتينية مختلف تماما عن الأدب المكتوب في إسبانيا رغم وحدة اللغة

وكان عام 1888، الذي أصدر فيه الكاتب النيكاراغوي روبين داريو كتاب "أزرق"، بداية حقيقية لانفصال الشعر في أميركا اللاتينية عن تبعية الشعر في إسبانيا، بل إن تأثير كتابه "أزرق" امتد إلى الأجيال الجديدة التي تكتب الشعر في إسبانيا. وربما كان للرقعة الجغرافية الواسعة التي تمتد عليها أميركا اللاتينية كقارة، وما يعني ذلك من تنوع في نطق اللغة وكتابتها إضافة إلى التأثيرات المحلية الخاصة بكل منطقة، أثرها في تعدد مشارب شعراء تلك القارة وموضوعاتهم وطريقتهم في تناول تلك الموضوعات، حتى أصبح التعامل مع كل إنتاج أميركا اللاتينية بشكل جمعي صعبا للغاية.

ولفت شاهين إلى أن العديد من شعراء تلك القارة بلغوا القمة في الإبداع، وحصل عدد منهم على جائزة نوبل مثل غابرييلا ميسترال التي حصلت عليها عام 1947 أو أوكتافيو باث الذي حصل عليها عام 1990، فاز عدد كبير منهم بجائزة "ثرفانتيس" التي تمنحها الأكاديمية الإسبانية لأفضل الكتاب الناطقين باللغة الإسبانية، والتي يعتبرونها بمثابة جائزة نوبل للأدب المكتوب بتلك اللغة.

ونظرا إلى صعوبة الحديث المفصل عن الكتابة الشعرية لدى كل دولة من دول أميركا اللاتينية على حدة، أو الحديث عن كل حركة من حركات التجديد الشعري فيها بشكل مفصل، قدم شاهين نماذج لتلك الكتابات مع مقدمة صغيرة للتعريف بكل شاعر حتى يمكن للقارئ أن يلم بشيء من المعرفة حول كل منهم، تاركا للقارئ أن يتعرف على جانب من الكتابة الشعرية في أميركا اللاتينية من خلال تلك القصائد التي اختارها من بين مئات القصائد التي كان يمكن أن تصلح للترجمة لتوسيع دائرة معرفتنا بهذا الشعر.

معرض تونس للكتاب يستلهم دورته الجديدة من شعر المتنبي

تونس - بعد غياب عامين بسبب جائحة كورونا عاد معرض تونس الدولي للكتاب في دورته السادسة والثلاثين التي افتتحت مساء الخميس ليروي ظمأ عشاق القراءة والمطالعة في بلد طالما لعب دورا محوريا في المشهد الثقافي بالمنطقة.

تقام دورة هذا العام في قصر المعارض بالكرم تحت شعار "وخير جليس في الأنام كتاب" بمشاركة 150 عارضا من تونس وحوالي 300 عارض من 20 دولة عربية وأجنبية من بينها موريتانيا "ضيف الشرف".

واحتفاء بموريتانيا خصص لها المنظمون جناحا يتضمّن معرضا للمخطوطات وعرض مجموعة من الإصدارات. وستحتفي هذه الدورة بالمخطوط من خلال تنظيم محاضرات لأساتذة من هذا البلد حول "كنوز المخطوطات في موريتانيا" و"طريق الحبر من القيروان إلى شنقيط"، وهي مدينة موريتانية تأسست في القرن الثاني للهجرة.

وبينما زار الرئيس التونسي قيس سعيد المعرض في الصباح وتفقد أجنحته أقيمت مراسم الافتتاح في المساء بمشاركة وزيرة الشؤون الثقافية حياة قطاط القرمازي ومدير المعرض مبروك المناعي.

وقال المناعي في كلمة الافتتاح "طال انتظارنا للمعرض في تونس على غرار سائر بلدان العالم لإقامة هذه التظاهرة بسبب جائحة كوفيد – 19 وتأثيراتها السلبية على اقتصادات المادة أو اقتصادات الثقافة والأشكال الرمزية من بينها معارض الكتب واضطرارنا إلى تأجيل هذه الدورة مرتين".

وأضاف "تنظيم الدورة الآن وتهديدات الجائحة لم تنته يجعل منها دورة تحد، لكن بلادنا قادرة على رفعه".

وتطرّق المناعي إلى معلّقة هذه الدورة وشعارها "وخير جليس في الأنام كتاب"، مبيّنا أن هذه المعلّقة تشكّل رسما فنيا لتونس وهي ترفع الكتاب عاليا وتُعلي من شأنه. أما بالنسبة إلى الشعار فهو "مقتبس من عَجُز بيت من قصيد لأبي الطيب المتنبي باعتباره أكبر ظاهرة قراءة في الشعر العربي وأبلغهم قولا في نعت الكتاب شعرا، مثلما الجاحظ الذي يعتبر أكبر ظاهرة قراءة من بين الناثرين وأبلغهم قولا في نعت الكتاب نثرا".

تواكب الدورة ذكرى مرور 60 عاما على تأسيس وزارة الثقافة وبهذه المناسبة يكرم المعرض الشاذلي القليبي (1925 – 2020) أول من تولى الوزارة والبشير بن سلامة الذي تولى الوزارة من 1981 إلى 1986.

كما احتفى المعرض بالإعلامي فرج شوشان الذي كرس مسيرته للاهتمام بالإنتاج الأدبي والتعريف بالكتاب وصناعه، والإعلامية سيدة الدو القايد التي وثقت عبر مشوارها الصحافي سيرة الأدباء والكاتبات التونسيات.

وشمل برنامج الافتتاح إعلان جوائز الإبداع الأدبي التي ذهبت في فرع الرواية إلى محمد عيسى المؤدب عن روايته "حمام الذهب" وفي فرع القصة إلى طارق اللموشي عن مجموعته القصصية "إنسومنيا".

وفي فرع الشعر فاز السيد التوي عن ديوان "الربيع ليس صدفة" الذي تحتفي قصائده بالطفولة وعوالمها الحالمة.

وذهبت جائزة البحوث والدراسات مناصفة إلى الراحل محمد علي الحباشي عن كتابه "حركات المعارضة والمحاكمات السياسية" ونورالدين الدقي عن كتابه "وسيلة بورقيبة: اليد الخفية" فيما نال محمد المختار العبيدي وسماح حمدي جائزة الترجمة عن كتاب "دراسات في تاريخ أفريقية" للتونسي محمد الطالبي.

وفاز بجائزة أدب الأطفال كل من فتحية بن فرج عن قصة "آلة متكبرة" والحسناوي الزارعي عن مجموعته الشعرية "أمل" وتقاسم جائزة أدب اليافعين يوسف رزوقة عن "جنينة هاني" وأسمهان الفرجاني عن قصة "ايدير" فيما ذهبت جائزة النشر إلى دار نيرفانا للنشر.

ويشمل برنامج المعرض الممتد حتى الحادي والعشرين من نوفمبر الجاري ندوات فكرية و20 لقاءً حواريا مع ثلة من الأدباء والمفكرين والشعراء من داخل تونس وخارجها وكذلك قراءات أدبية ومنتديات للشباب وأنشطة خاصة للطفل.

وحافظ المعرض على البرنامج الموجه للطفل، إذ يقام بالشراكة مع وزارة التربية وإدارة المطالعة بوزارة الشؤون الثقافية، ويتم خلاله تنظيم ورشات ومسابقات وعروض تنشيطية ترفيهية لفائدة الأطفال المرافقين لأوليائهم، أو بالنسبة إلى التلاميذ القادمين في رحلات خاصّة تنظمها وزارة التربية لفائدتهم من مختلف جهات البلاد.

معرض تونس الدولي للكتاب
FOIRE INTERNATIONALE DU LIVRE DE TUNIS

> المعرض يعود بعد غياب عامين بسبب كورونا ليستضيف موريتانيا ويضم حوالي 450 دارا وبرنامجا ثقافيا متنوعا

وأكد رئيس لجنة المعارض والإعلام في اتحاد الناشرين العرب محمد صالح المعالج، من جهته، على أن المعرض في هذه الدورة سيكون سبّاقا في محاربة جرائم القرصنة والتزوير، مبيّنا أن جناحا خاصّا سيتم إحداثه بالتعاون مع المؤسسة التونسية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، يضمّ خبراء محلفين، ستوكل إليهم مهمة رصد الكتب المقرصنة وتتبّع المخالفين.

وردا على انتقادات طالت اختيار تاريخ المعرض في هذا التوقيت الذي يراه البعض غير مناسب، أشار معالج إلى استحالة تنظيم هذه الدورة السادسة والثلاثين في موعد آخر غير موعدها الحالي من الحادي عشر إلى الحادي والعشرين من نوفمبر، مبيّنا أن الإشكال يكمن في عدم شغور المواعيد لدى إدارة قصر المعارض بالكرم. وأشار إلى أن المعرض سيعود إلى موعده المعتاد، أي مع موفى شهر أفريل ومطلع شهر ماي، خلال سنة 2023.

احتفاء خاص بموريتانيا وثقافتها